

الباب السابع
منهج الدعوة إلى الله
في القرآن الكريم

الفصل الأول

الدعوة إلى الله تعالى.. تعريفًا وموضوعًا وفوائد

يحسن قبل الحديث عن منهج القرآن في الدعوة إلى الله أن يكون هناك تحديد دقيق لمعنى الدعوة إلى الله تعالى، موضوعها وفوائدها على النحو التالي:

تعريف الدعوة إلى الله تعالى :

الدعوة إلى الله تعالى هي : نقل الإسلام بعمومه، وشموله، ووسطيته إلى عقول الناس جميعًا، بل إلى قلوب المستعدين منهم للتضحية والبذل والعطاء بكل الأساليب، والوسائل الممكنة، والتي لا تتعارض مع مبادئ الشرع الحنيف.

قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : ١٢٥] .

يعنى : ادعُ مَنْ بُعثَ إليهم من الأمة إلى الإسلام الذى جاء التعبير عنه بالصراط المستقيم، وملة إبراهيم عليه السلام بالحكمة، أى الصواب الواقع من النفس أجمل موقع، والموعظة الحسنة المتمثلة فى الخطاب المقنع، والعبرة النافعة، وجادلهم بالتي هي أحسن من الرفق، واللين، وتحري الحق بصرف النظر عن قائله^(١) .

موضوع الدعوة إلى الله تعالى :

وموضوع الدعوة إلى الله تعالى هو القضايا التى جاء بها الوحي المنزل كتابًا، وسنة، والتي تلخص فى :

١ - تعريف الناس بربهم، وبأنفسهم، وبالكون، وبعوالم الملائكة، والجن، والشياطين، والأنبياء والمرسلين ورسالاتهم، وبالعاقبة والمصير، وطرق التعامل مع هذه جميعًا، ليهلك مَنْ هلك عن بُيُوتِهِ، ويحيى مَنْ حَيَّ عن بُيُوتِهِ.

٢ - تحديد علاقات الناس بعضهم بعضًا، أصدقاء وأعداء، أقارب وأباعد، حُكَّامًا ومحكومين على السواء، وسبيل رعاية هذه العلاقات، والحفاظ عليها، والموقف من تضييع هذه العلاقات.

(١) انظر: روح المعاني للألوسى ١٤ / ٢٥٤ المجلد الخامس .

٣ - تعريف النفوس بإيجابياتها، وسلياتها، وسبيل تطهير وتركية هذه النفوس، وتزويدها بزد التقوى لتقوم بدورها فى الأرض.

فوائد الدعوة إلى الله تعالى :

وفوائد الدعوة إلى الله تعالى كما صورها الله فى كتابه هى :

١ - إقامة الحجة على المصرين والمعاندين، بحيث لا يبقى لهم عذر يعتذرون به إذا ما رجعوا إلى الله - تبارك وتعالى .

قال تعالى : ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾

[النساء : ١٦٥]

وقال تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة : ١٠٦].

٢ - تنبيه الغافلين، وانتشال الغارقين من الناس - لاسيما المسلمين - فإن الإنسان خلُقَ يوم خلق فطرة بيضاء نقيّة لديها استعداد للخير، واستعداد للشر، كما قال سبحانه : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس : ٧].

والبيئة التى ينشأ فيها الإنسان، أو التى تحيط به هى التى تساعد فى تشكيله على صورتها، إن كانت خيرة كان خيرا، وإن كانت شريرة كان شريرا.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» (١).

والدعوة فيها تذكير وتبصير، وتنبيه لهؤلاء علهم يتوبون أو يذكرون، سيما وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء، وما يدرينا ؟

فلعلّه يكون من بين هؤلاء من يكون سبيا فى فتح ونصر قريبين للمسلمين، ولم تمشى بعيدا، وقد كانوا يقولون عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لا يُسلم حتى يُسلم حمار الخطاب»، وهذاه الله وأسلم، وكان إسلامه فتحا، وبركة، ویمنا، ونصرا للمسلمين، بل كان باب حماية لهم، لم يكسر، ولم يلج منه العدو إلا بعد موته.

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى : السنن : كتاب الأدب : باب من يؤمر أن يجالس / ٤ / ٢٥٩ رقم ٤٨٣٣ ، والترمذى فى : السنن : كتاب الزهد : باب منه / ٤ / ٨٥٩ رقم ٢٣٧٨ ، وأحمد فى : المسند / ٣ / ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، واللفظ لأحمد، قال الترمذى : «هذا حديث حسن غريب».

والى هذه الفائدة والتي قبلها لفت ربُّ العزة النَّظَرُ قائلاً: ﴿وَرِذَّالَةٌ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لَمْ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤)﴾ [الاعراف] .

٣ - استمطار العون والتأييد الرباني في معركتنا مع أعداء الله وأعدائنا، فإننا بحولنا وقوتنا أمام جحافل هؤلاء الأعداء وجيوشهم ، ودعايتهم ضعفاء، ولكننا بحول الله وقوته أقوياء، وقد جعل الله لإنزال عونه، وتأييده لعباده سنناً ونواميس لا تتخلف، ومنها: الطاعة والاستقامة .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧)﴾

[محمد]

والدعوة إلى الله تعالى : رأس الطاعة والاستقامة ؛ لأنها تتعدى النفس إلى الغير، وذلك دليل كمال الإيمان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١) .

٤ - النجاة من العقاب في الآخرة، أو في الدنيا والآخرة جميعاً، إذ التقصير في القيام بواجب الدعوة والبلاغ يؤدي إلى سيادة الباطل، ونشر الشرِّ والفساد الذي قد يأتي على الأخضر واليابس، ونكون نحن من ضحاياه، والقيام بهذا الواجب يكون سبباً في النجاة .

قال تعالى : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ اسْوَاءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥)﴾ [الأنعام] .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا (٢) عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقُوا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا

(١) الحديث أخرجه البخاري في : الصحيح: كتاب الإيمان: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١٠ / ١ ، ومسلم في : الصحيح: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير ١ / ٦٧ - ٦٨ رقم ٧١ ، ٧٢ واللفظ للبخاري .

(٢) الاستهام، الاقتراع، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ١٩٦ .

خَرَقْنَا فِي نَفْسِنَا خَرَقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَرَقْنَا ؟ فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا، وَنَجَّوْا جَمِيعًا» (١) .

٥ - تكوين الرأي العام المسلم الحر الذي له دور كبير في حراسة آداب الأمة، وفضائلها، وأخلاقها، ودستورها، وبناء شخصية لها، وسلطان هو أقوى من القوة، وأنفذ من القانون، وبدون هذا الرأي تتحول الأرض إلى بؤرة من الشر والفساد.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].
وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَسَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا أَنَّ اللَّهَ كَبِيرٌ﴾ [الحج: ٤٠] .

٦ - الظفر بالاجر والثواب الذي وعد الله به القائمين بواجب الدعوة والبلاغ.

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَمُرُّونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢)﴾ [التوبة] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» (٢).



(١) الحديث أخرجه البخاري في: الصحيح: كتاب الشركة: باب هل يفرق في القسمة، والاستهام فيه ١٨٢/٣، والترمذي في السنن: كتاب الفتن: باب منه ٤/ ٤٧٠ رقم ٢١٧٣، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب العلم: باب مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً ٢٠٦٠ / ٤ رقم ٢٦٧٤، وأبو داود في: السنن: كتاب السنة: باب لزوم السنة ٤/ ٢٠١ رقم ٤٦٠٩ واللفظ لمسلم.

الفصل الثاني

الدعوة إلى الله تعالى .. مشروعية ومسؤولية وفضلا

ولابد من اليقين بمشروعية الدعوة إلى الله تعالى، وعلى مَنْ تقع مسؤوليتها، وفضلها، ومنزلة المشتغلين فيها ليعرف كل مسلم حاله، ويضمن على صحة عمله، ويسمى جاهداً إلى المنزلة التي من الله - عز وجل - بها على الدعاة، وذلك على النحو التالي :

مشروعية الدعوة إلى الله تعالى :

والدعوة إلى الله - تعالى - مشروعة على سبيل الفرض والإيجاب، لا يصح إهمالها، أو التواني والتفريط فيها :

١ - للأوامر الواردة في هذا الشأن مباشرة أو غير مباشرة، صريحة أو ضمنية.

فمن الأوامر الصريحة المباشرة قوله سبحانه :

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

[آل عمران: ١٠٤]

وقوله ﷺ : «ليبلغ الشاهد الغائب، فإنَّ الشاهد عسى أن يبلغ مَنْ هو أوعى له منه» (١) .

ومن الأوامر الصريحة غير المباشرة، قوله تعالى :

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

[النحل: ١٢٥]

وقوله تعالى : ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ (٦٧) [الحج] .

إذ هذا خطاب له ﷺ ، وخطابه ﷺ خطابٌ لأمته ما لم تقم قرينة تدل على أنَّ هذا الخطاب من خصوصياته ولا قرينة هنا.

(١) سبق تخريجه .

بل إنَّ قيام المسلمين بعده ﷺ من عهد أبى بكر رضي الله عنه إلى قريب جداً بهذا الواجب لهو القرينة على أن الخطاب يتناول الأمة، ويكون ذلك من باب حفز همم الأمة، وعزائمها للقيام بهذا الواجب، وعدم التواني، أو التفريط لحظة واحدة؛ لأنه إذا كان نبينا وإمامنا ﷺ وهو الذى لا يتأتى منه إهمال أو تقصير أو تفريط فى هذا الواجب قد أمر به، فكيف بنا نحن المسلمين الذين شأننا التقصير والتفريط؟ إن الأمر فى حقنا إذن يكون أوكد، وأوجب.

ومن الأوامر الضمنية، قوله تعالى :

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

[آل عمران: ١١٠]

وقوله ﷺ : «نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فحفظه حتى يبلغه، فَرُبَّ حَامِلٍ فقه إلى مَنْ هو أفقه منه، وَرُبَّ حَامِلٍ فقه لَيْسَ بفقيه» (١).

إذ الكلام هنا، وإن كان مسوقاً بصيغة الخبر، لكنّه يحمل فى طياته معنى الأمر، بناءً على القاعدة الأصولية المشهورة من أن: «كل فعل كسبى عظمه الشرع، أو مدحه، أو مدح فاعله لأجله، أو فرح به، أو أحبه، أو أحب فاعله... إلخ، فهو مأمور به» (٢).

كانه - سبحانه - قال هنا: «مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، وآمنوا بالله تكونوا خير أمة أُخْرِجَتْ للناس».

وكانَّ النبى ﷺ قال فى حديثه هنا: «اسمعوا حديثنا، واحفظوه، وبلغوه، تظفروا بالنصرة، والحيوية، والشباب، فربَّ حَامِلٍ فقه إلى مَنْ هو أفقه منه».

وإنما سيق الكلام هكذا ليكون لفتة إلى أن المؤمن لكمال إيمانه، ولرقة إحساسه، وشعوره ليس بحاجة إلى أمر صريح مباشر، وإنما حسبه أن يعلم، ولو من طرف خفى: أن هذا العمل يرضى عنه الله ورسوله، فيبادر إلى الامتثال، والتنفيذ، ويأتى القرآن، ويأتى الحديث ليخبرا عنه بصيغة الخبر المقرر بالثناء، والمدح، فتكون هذه من خصائص المؤمنين دون غيرهم من الناس.

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى ٠ السنن: كتاب العلم: باب فضل نشر العلم ٣/ ٣٢٢ رقم ٣٦٦٠، والترمذى فى: السنن: كتاب العلم: باب ما جاء فى الخُتِّ على تبليغ السَّماع ٥/ ٣٣ - ٣٥ رقم ٢٦٥٦ كلامهما من حديث زيد بن ثابت مرفوعاً، وقال الترمذى: «حديث زيد بن ثابت حديث حسن».

(٢) انظر: الإمام فى بيان أدلة الأحكام للشيخ عز الدين بن عبد السلام ص ٨٧، ٨٨، ١٠٢.

٢ - ولأن رسالته ﷺ وهو خاتم الأنبياء والمرسلين باقية إلى قيام الساعة:

قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) [الأنبياء] .

وقال تعالى : ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الاحزاب: ٤٠] .

ومقتضى عالمية الرسالة إلى قيام الساعة أن تكون الدعوة إليها كذلك عامة إلى يوم القيامة، فإن الله رحمةً منه بعباده ما كان ليؤاخذهم قبل البيان والبلاغ.

قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ (١٥) [الإسراء] .

٣ - وللوعيد الشديد الوارد في شأن من يكتُمون العلم، ولا يبينونه للناس.

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ لَكُمْ أُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٦٠) [البقرة] .

٤ - ولأن التمكين لمنهج الله في الأرض لتحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة، وحفظ حق الحياة على الناس من حولنا واجب علينا.

والدعوة طريق لا بدَّ منها لتحقيق الواجب، وما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما يقول الأصوليون.

٥ - ولإجماع المسلمين من عصر الصحابة إلى يومنا هذا على وجوب الدعوة إلى الله حتى وإن قصرت الهمم، وضعفت العزائم.

مسؤولية الدعوة إلى الله تعالى :

« ما دامت الدعوة إلى الله تعالى واجبة، ومفروضة على النحو الذي تقدَّم آنفاً، فإنها مسؤولية المسلمين جميعاً، يعنى مطلوب من كل مسلم أن يقوم بها، كل حسب طاقاته وإمكاناته، ولا يعفى أحد من القيام بهذا الواجب، أو هذا الفرض، وحسبنا في ذلك : قوله ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنكراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » (١) .

وقوله ﷺ : « لِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ » (٢) .

(١) الحديث أخرجه مسلم في: الصحيح: كتاب الإيمان: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ٦٩/١ رقم ٧٨، ٧٩ من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً بهذا اللفظ.

(٢) الحديث سبق تخريجه .

حيث ألزم ﷺ كل واحد في الأمة أن يقوم بهذا الواجب حسب طاقته وإمكاناته، ولا يناقض هذا التعبير بـ: «مِنَ» التبعيضية في قوله سبحانه: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] .

إذ المراد : أنتم أيها المؤمنون مكلفون جميعاً بهذا الأمر، وعليكم في سبيل تطبيق هذا التكليف: أن تختاروا وأن تتخبروا بعضاً، أو طائفة منكم لتقوم بهذا الواجب، بل عليكم أن توازيوها بتوفير حاجياتها التي تعينها على أداء مهمتها، والوقوف من ورائها وحمايتها من سطوة كل جبار عنيد^(١) ، كأن الكل إذا في دعوة، ولكن حسب الطاقات والإمكانات التي وهب الله - عز وجل .

فضل الدعوة إلى الله تعالى :

ويظهر فضل الدعوة إلى الله تعالى في :

١ - أنها عمل الأنبياء والمرسلين، وهم أشرف الخلق وأكرمهم على الله عز وجل، كما قال سبحانه : ﴿وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨] .

وكما قال تعالى : ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦] .

وَمَنْ يَعْمَلْ عَمَلَهُمْ يَكُونُ حَائِزًا لشيء من هذا الشرف والكرامة، وصدق الله الذي يقول : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٢]

[فصلت]

٢ - أنها طريق للطريق للفوائد والثمرات التي مضت آنفاً، وفضل الشيء يكون بما يكتنفه من فوائد، وثمرات.

٣ - أن موضوعها : الرُوحُ المنزلُ : كتاباً وسنةً، وشرف الشيء يكون بشرف موضوعه، وهل هناك شيء أشرف وأكرم على الله من وحيه ودينه.

قال تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾

[الزمر: ٢٣]

وقال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] .

(١) انظر: تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ٤ / ٣٥ ، ٣٦ .

الفصل الثالث

الدعوة إلى الله في القرآن الكريم طريقاً ومنهاجاً

وطريق ومنهاج الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم يتمثل في :

١ - الدعوة بواسطة الأسوة والقدوة :

ذلك أن النفس البشرية بطبيعتها تستقل التكليف والمهام المنوطة بها، ولا يهون عليها أن تؤدى ، وأن تبذل، وأن تتحمل إلا إذا وجدت أسوة وقدوة لها على الطريق، والانبيااء والمرسلون وخاتمهم محمد ﷺ أعظم أسوة وقدوة بشرية على الطريق، ويأتى من وراء هؤلاء الاصحاب والاتباع.

قال تعالى عن الانبياء والمرسلين عامة :

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] .

وقال عن محمد ﷺ خاصة :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الاحزاب: ٢١] .

وقال تعالى عن المؤمنين الصادقين من اصحاب واتباع النبيين من قبل :

﴿وَكَايَ مَنِ نَّبَى قَاتِلَ مَعَهُ رَيْبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤٨) [آل عمران] .

وقال تعالى عن نفر من المؤمنين اصحاب النبي ﷺ :

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢٤) [الاحزاب] .

٢ - الدعوة بواسطة القصة :

ذلك أنَّ النفس البشرية - لطول الطريق، ولكثرة العقبات والمعوقات - قد تسام، وتقل، فتقعد أو تفتّر، وخير تثبيت لها وتسليّة، بل دواء : أخبار الماضين : مصدّقين ومكذّبين، وعاقبة كلٍّ، وكما قيل : «السعيد مَنْ وعظ بغيره» .

وتبعاً لذلك كان القصص القرآني من أنجح وسائل الدعوة إلى الله - عزَّ وجلَّ .
قال تعالى : ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَتَّبِعُ بِهِ فَوَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢٠) ﴿[مرد] .

وقال تعالى : ﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (١٧٦) ﴿[الاعراف] .
وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١١١) ﴿

[يوسف]

هذه قصة يوسف، دعوة إلى الصبر والتحمل، وتقوى الله حتى يمكن مواجهة الشدائد، والامتحانات سواء أكانت هذه الشدائد والامتحانات شرّاً أم خيراً، وسواء أكانت تضييقاً أم سعة، وسواء أكانت مهينة وضبعة أم ربيعة، وسواء أكانت مع الأقارب أم مع الأبعد... وهكذا، حتى قال الله في آخرها على لسان يوسف ﷺ :
﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٩٠) ﴿[يوسف] .

وقال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأَةٍ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠) ﴿[يوسف] .

وهذا زكريا ﷺ بلغ من الكبر عتياً، ولم يرزق بولد لأن امرأته كانت عاقراً لا تلد، وما زادهما ذلك إلا مزيداً من الطاعة والدعاء وأملاً ورجاء في الله أن يمنَّ عليهما بالولد، وقد كان، قال تعالى : ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩) ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجُهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (٩٠) ﴿[الأنبياء] .

وهذا يونس يتلعه الحوت بأمر من الله عز وجل فلا يبقى له حول ولا قوة، ويهتف من أعماقه وهو في بطن الحوت قائلاً :

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) ﴿[الأنبياء] .

ويستجيب الله عز وجل دعاءه، وينجيه، مبيّن أن هذه سبحة مع المؤمنين الصادقين التائبين.

قال تعالى : ﴿فَاسْتَجِبْ لَهُ وَتَجِيبْهُ مِنَ الْقَمْرِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الانبياء .]

٣ - الدعوة بواسطة الترهيب والترغيب :

ذلك أن الإنسان ابن مصلحته، وإن تباينت هذه المصلحة بتباين العقيدة التي يعتنقها هذا الإنسان، ويدين بها :

فمثلا الذين ينكرون الله بالمرّة ، ويجحدون الدار الآخرة، ويرون الدين أفيون الشعوب، أو يؤمنون بالله مع شركاء له، ويرون الجزاء في الآخرة في أيدي رجال الدين، إن رضوا بعد حصولهم على الرشاوى أدخلوهم الجنة، وإن غضبوا حرمانهم من الرشاوى عذبوهم في النار، هؤلاء وأولئك يجدون مصلحتهم ولذتهم في الاستحواذ على الدنيا لذا فهم يحرصون عليها، وعلى شغل كل لحظة فيها بالشهوات واللذات قائلين لبعضهم البعض : «اقتنص لذتك الحاضرة قبل أن تموت» .

ونحن المسلمين الذين نؤمن بالله ربّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، ونوقن بالآخرة، والحساب والجزاء بالسوء سوءًا، وبالإحسان إحسانًا، ونرى مصلحتنا دائرة بين الدنيا والآخرة بشرط أخذ الدنيا من حِلِّها، وصرفها في وجهها، يأتى عملنا وفق هذه المصلحة، والله عز وجل يعلم ذلك؛ لذا يدعو السّادّين في غيهم، ولهوهم بواسطة الترهيب والتخويف بعقاب الدنيا أو الآخرة، أو هما معًا.

ويدعو القريبين بواسطة الترغيب والتبشير بثواب الدنيا أو الآخرة، أو هما معًا، وقد يدعو كلا من الفريقين بالأمرين جميعًا.

قال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل .]

وقال تعالى : ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن .]

وقال تعالى : ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء .]

وقال تعالى : ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن .]

٤ - الدعوة بواسطة المثل :

ذلك أن المرء بحاجة إلى ما يكون سبباً في جمع همته، واستثارة ذهنه، وإعانت فكره، والأمثال من أحسن ما يؤدي هذه المهمة، ويحقق هذا المطلب، فضلاً عن كونها تجمع المعاني الكثيرة في كلمات يسيرة، لذا تكررت في القرآن الكريم، وكانت من أنجح طرق ووسائل الدعوة إلى الله - عز وجل .

قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١) [الحشر] .

وقال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤٣) [العنكبوت] .

قال إبراهيم النِّظَّام : «يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، لإيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة» (١) .

وقال ابن المقفع : «إذا جعل الكلام مثلاً، كان أوضح للمنطق، وأتقن للسمع، وأوسع لشعوب الحديث» (٢) .

ومن الأمثال الواردة في كتاب الله قوله سبحانه :

﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٦٦) [البقرة] .

قال عمر يوماً لأصحاب النبي ﷺ : فيم ترون هذه الآية نزلت : ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾؟ قالوا : الله أعلم، فغضب عمر، قال: قولوا: نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسى منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخى قُلْ، ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضُربت مثلاً لعمل، قال عمر: أى عمل؟ قال ابن عباس ﷺ: ضُربت لرجل غنى عمل بطاعة الله تعالى، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أحرق أعماله (٣) .

وفي رواية أخرى أنه قال :

«يا أمير المؤمنين، هذا مثل ضربه الله تعالى، فقال: أيعب أحدكم أن يكون عمره يعمل بعمل أهل الخير، وأهل السعادة، حتى إذا كبر سنه، وقرب أجله، ورق عظمه،

(١، ٢) انظر: مجمع الأمثال للميداني ١/ ٦ .

(٣) الحديث أخرجه البخارى في : الصحيح: كتاب التفسير: سورة البقرة باب قوله: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ إلى قوله: ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ ٨ / ٢٠١ - ٢٠٢ رقم ٤٥٣٨ (فتح البارى) .

وكان أخرج ما يكون إلى أن يختم عمله بخير، عمل بعمل أهل الشقاء، فافسد عمله فأحرقه»، قال: «فوقعتُ على قلب عمر وأعجبتُه» (١).

٥ - الدعوة إلى الله بواسطة التدرج :

ذلك أن استئصال الداء المتمكن من النفوس مرة واحدة يكون شاقاً وصعباً، والأمر يقتضى التدرج شيئاً فشيئاً وهذا ما مضى عليه القرآن فى تحريم الخمر، وتحريم الربا، إذ لم يحرمهما دفعةً واحدةً، وإنما على أربع مراحل.

ففى الخمر كانت المرحلة الأولى فى قوله تعالى :

﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل : ٦٧] .

وكان المرحلة الثانية فى قوله تعالى :

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة : ٢١٩] .

وكانت المرحلة الثالثة فى قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾

[النساء : ٤٣]

وكانت المرحلة الرابعة والأخيرة فى قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مَّتَّهِونٌ (٩١)﴾ [المائدة : ٩٠، ٩١] .

وفى الربا كانت المرحلة الأولى فى قوله تعالى :

﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ (٣٩)﴾ [الروم : ٣٩] .

وكانت المرحلة الثانية فى قوله تعالى :

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبَصَدَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء : ١٦٠] .

(١) انظر: روح المعاني للالوسى ٣ / ٣٨ المجلد الأول، نقلًا عن عبد بن حميد.

وكانت المرحلة الثالثة فى قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠)﴾

[آل عمران]

وكانت المرحلة الرابعة والأخيرة فى قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْنُمُونَ وَلَا تَظْلُمُونَ (٢٧٩) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)﴾ [البقرة] .

٦ - الدعوة إلى الله بواسطة المجادلة بالتي هي أحسن:

ذلك أن المجادلة بالتي هي أحسن تكون سبباً فى حضور الذهن، وجمع الهمة، ومقارعة الحجة بالحجة، وإعلان الحق بغض النظر عن قائله، وقد لفت ربُّ العزة النظر إلى هذا اللون من الجدل بقوله سبحانه:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

[النحل: ١٢٥]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] .

كما لفت النظر إلى الجدل المذموم القائم على إهدار الحجة ومجرد الانتصار للنفس لا للحق، بقوله تعالى :

﴿إِن حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦٦)﴾

[آل عمران]

وقوله تعالى : ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨)﴾ [الحج] .

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)﴾ [الأنعام] .

٧ - الدعوة إلى الله بواسطة التذكير بالنعمة :

ذلك أن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، وإلا كان المنعم عليه جاحداً،

وَمَنْ أَجَلُ نِعْمَةٍ عَلَى عِبَادِهِ وَأَعْظَمُ مِنَ اللَّهِ، وَلِذَا فَإِنَّهُ يَذْكُرُ بِهَا طَرِيقًا لِقَبُولِ دَعْوَتِهِ أَوْ لَزُومِ الْحُجَّةِ، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ :

﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨] .

ويقول تبارك وتعالى : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] .

ويقول - عز من قائل : ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] .

والقرآن كله قائم على التذكير بنعمة الخلق، والرزق، والامن، والتسخير، ونحوها كوسيلة من وسائل الالتزام بمنهج الله، أو لزوم الحجة وحسبنا قوله - سبحانه :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ [البقرة] .

وقوله - سبحانه : ﴿كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٢)﴾ [النحل] .

٨ - الدعوة إلى الله بواسطة أسماء الله الحسنى :

ذلك أن أسماء الله الحسنى وصفاته العلا طريق لمعرفة ومحبته سبحانه، والافتداء والتأسي في حدود الطاقة البشرية؛ ولذا فإنه ما من آية من آيات الكتاب إلا وهي قائمة على ذكر اسم أو أكثر من أسمائه سبحانه كطريق من أنجح طرق الدعوة إلى الله سبحانه، والالتزام بمنهاجه، ومن ذلك قوله تعالى :

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾ [الحشر] .

وقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾

[الاعراف]

وقوله تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

[الإسراء: ١١٠]

٩ - الدعوة إلى الله بواسطة الموعظة الحسنة :

والموعظة الحسنة هي جميع الوسائل المذكورة، وغير المذكورة من الأوامر والنواهي، والحلال والحرام، والترغيب والترهيب، والقصة، والمثل، والجدل الحسن، والنعمة، والتصريح، والتلميح، وغير ذلك من الأساليب والوسائل.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣].

قال عز من قائل بعد الكلام عن حادثة الإفك:

﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُرْغَبِينَ﴾ [النور: ١٧].

وحكى عن لقمان فقال:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [١٣].

[لقمان]

وحكى ردَّ عاد على هود عليه السلام، فقال:

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦].

وهكذا، فإن الموعظة الحسنة هي أجمع وأشمل أساليب الدعوة إلى الله تعالى في القرآن الكريم.

